المصريون

هذه الارض المنبسطة الخصيبة التربة الغزيرة الماء الكثيرة النتاج السريعة النماء واسطة عقد قارّات العالم القديم الثلاث المنحصرة بين بحرين البحر المتوسط وبحر القلزم وبين صحراوين صحراء ليبيا وصحراء نوبا لا تكفهرّ سماؤها بالغيوم فتمطرها الا رذاذاً ولا تبرّد جوّها الا نواء فتسلب من حرارتها ما يتوقف به النشوء والتكوين ولا تشرق شمسها الا انتشرت عوامل الحياة ولا يتحرك هواؤها الا على احياء تتفاعل فيها العناصر بين تحليل وتركيب ولا يجري مآؤها الا انهاراً بين جناتٍ كانها خُلقت لتكون مطمح أنظار الانسان فهي مهد الحضارة ومنشأ المدنية ومبدأ العمران وحلبة السباق في تنازع البقاء وغنيمة المقتدر

ولا مراء في ان للهواء والماء والحرارة والتربة تأثيراً في بناء الكائنات الحية ونشوئها والانسان وهو اسمى هذه الكائنات وأشرفها وأحسنها تقويماً وألطفها بناء تفعل فيهِ هذه المؤثرات فعلها فيما دونهُ في مراتب الخلق فتؤثر في بنائه واخلاقهِ وطباعهِ وعوائدهِ فلا بدع ان كان تأثيرها في المصريين أثبت وأوضح لاستمرار فعلها وثبوت أثرها فيهم ولذلك ترى هيئاتهم متشابهة وأخلاقهم متماثلة وأزياءهم وعوائدهم متقاربة الا فيما أحدثتهُ التربية اضطراراً وانقاد بهِ المغلوب لحكم الغالب فجرى في عقبهِ حتى رسخ وتأصل . ومن أنعم النظر في هيئات المصريين المنتشرين في الارياف على ضفاف النيل وقابل بينها وبين التماثيل المنقوشة والصور المرسومة على جدران الهياكل القديمة ومدافن الملوك أخذهُ الدهش لما يرى من الشبه في الملامح والتقاطيع حتى يخيَّل لهُ ان المصريين أهل

تلك الاعصر الخالية قد أُنشِروا بعد الوف من السنين فعادوا الى عالم الظهور وكفى بذلك دليلاً على ثبوت المؤثرات واستمرار فعلها عليهم

ومعلوم ان الجنس البشري أنواع تتشابه بالخصائص اللازمة المقوّمة للجنس من مثل انتصاب القامة وعِرَض الجبهة ووضوح الملامح ووجود الاظافر وكون الابهام في اليدين يلامس كلاً من الاصابع ويقع طرفهُ على طرف كلٍ منها ويضادُّها بخلاف الابهام في الرجلين الى غير ذلك من الخصائص التي يشترك فيها جميع افراد الجنس البشري وان تباينوا بالخصائص العارضة التي تتفاوت بحسبها الانواع كاللون والشعر وشكل الرأس واختلاف الملامح والتقاطيع الى غير ذلك مما يفرق بين الانوع المنتشرة سلالتها في جميع الامصار والاقطار · وهي ثلاثة على الارجح الابيض القوقاسي والاصفر المغولي والاسود الزنجي · والسلائل تُفرَق أيضاً بخصائص تمتاز بحسبها بعضها عن بعض وتنقسم الى فصائل وقبائل واسباط يُعرَف كلٌّ منها بصفات خاصة فالطليان مثلاً قبيلة منشأها الفصيلة اللاتينية فرع السلالة الآرية وهي احدى سلائل النوع الابيض واذا نظرت الى المصريين من هذا الوجه تبينت انهم قبيلة تمتاز عن غيرها بخصائص تستقلّ بها هي غير خصائص النوع المغولي وغير خصائص النوع الزنجي فهي اذًا من النوع الابيض

اما كون المصريين قبيلةً مستقلة ممتازةً بخصائص النوع الابيض فمسئلة كشف عنها العلم في عصرنا حجب الخفاء وقد اثبت الباحثون في علم طبيعة الانسان انهم كالبربر منشأهم الفصيلة الليبية نسبةً الى ليبيا وهو اسم يوناني ذكرهُ اوميروس ويراد بهِ غربيُّ افريقيا من مصر الى برقة وطرابلس الغرب وكردوفان ودرفور وغيرها · وهذه الفصيلة نشأت كالفصيلة الساميَّة وغيرها من

الفرع الارامي احد فروع النوع الابيض فهم من حيث النسب أقرب الى العرب وغيرهم من اعقاب الفصيلة السامية

ولا يحتاج في بيان أصل الامة المصرية الى الحدس والتخمين كما هو الحال في بيان أصل غيرها من الامم لانها اول أمة تهيأت لها أسباب الحضارة وتوفرت وسائل العمران فانتظمت احوالها المدنية وثبتت لدى تقلبات الزمان وهذه آثارها الباقية لهذا العهد تنطق باخبارها وتدل على ما كانت عليهِ من عظمة الملك وفخامة الدولة وسعة العمران وانتظام المدنية على حين كانت الهمجية ضاربة اطنابها في كثيرٍ من الاقطار والبلدان . ولا يخفى أن التوراة هي أقدم كتاب دُوّنت فيهِ أخبار الخلق وبيّنت أنساب الامم وقد ورد في الفصل العاشر من سفر التكوين ان مصرائيم من أبناء حام الا انهُ لم يوضح فيه شيء من الخصائص التي يُعتَمَد عليها في التمييز بين القبيلة والفصيلة والسلالة وغير ذلك مما يتحراهُ الباحثون في بيان الحقائق المطموس عليها . واذا سلمنا بان موسى عليهِ السلام هو كاتب هذا السفر خلافاً لما ذهب اليهِ بعضهم فهو متأخرٌ كثيرًا عن زمن الرسوم الكتابية والتصويرية التي وُجدت في الهياكل والمدافن القديمة المصرية وقد زعم بعضهم انها تردُّ الى عصر نوح وما قبلهُ . وهي محكمة الوضع بديعة الصنع متقنة النقش واضحة الدلالة على الخصائص المميزة للسلائل البشرية . فقد ثبت أن المصريين كانوا في الدولة الثانية عشرة وذلك قبل التاريخ الميلادي بنحو ٢٣٠٠ سنة يتميزون الى أربع سلائل وقد رُسم مثال كلٍّ منها رسمًا واضحًا تتبين بهِ خصائصهُ المميزة على نحو ما نرى الآن في الامة التي تُنسَب اليهِ وقد نقلنا صورة هذه السلائل الاربع لزيادة الايضاح وهي مأخوذة عن الرسم الذي كشفهُ بلزوني في مدفن ستي منفتاح

الاول من ملوك الدولة التاسعة عشرة في مدينة طيبة وذلك سنة ١٥٠٠ ق م. فالصورة الاولى تمثل الآريين الذين سموهم بالتمهو [1] وصوروهم بيض اللون زرق العيون . والصورة الثانية تمثل الزنج بلونهم الاسود وشعرهم الصوفي الجعد

(١) (٢) (٣) (٤)

وقد كتب في أعلاها نهسو [2] . والصورة الثالثة تمثل الساميين وقد كتب في أعلاها نمو [3] ولونها أصفر وشكل الانف أقنى . والصورة الرابعة تمثل المصريين وقد كتب في اعلاها بالقلم المصري القديم اي الهيروغليف روت [4] ولونها أصدأ وهي أشبه من حيث الهيئة بالفلاحين المنتشرين في الارياف على ضفاف النيل

ومن الصور المصرية البديعة لوح وجد في هيكل أبي سمبل في نوبيا مُثِّل فيهِ رعمسيس الثاني محاطاً بزمرة من حشمهِ وخواصهِ وفي يدهِ صولجان مرفوع فوق رؤوس الزنج والنوب وأهل المشرق وكلهم مزوَّق بألوان تحاكي ألوانهم الطبيعية من اسود وأسمر وأصدأ وأبيض وفوق رأسهِ درجٌ مكتوبٌ فيهِ

---

١ Tamahu ٢ Nahsu ٣ Namahu ٤ Rot

بالهيروغليف ما ترجمتهُ « الاله الحي الصالح رب المجد ضرب الجنوب ودوّخ الشرق فيملك مظفرًا ويخضع الارض لسلطته » وكان هذا الملك في القرن الثالث عشر وقيل في الرابع عشر قبل الميلاد وذلك يوافق زمن موسى عليه السلام

وليست الصور المذكورة جميع ما أبقته الآثار مما تُعرَف به السلائل البشرية فقد وُجد مثال الفصائل القوقاسية على أشكالها في عاديّات بابل واشور ومنها الفصيلة الساميّة ممتازة بخصائصها فقد كانت منذ سنة ٦٠٠ و ٨٠٠ و ١٠٠٠ ق م كما هي الآن . وصورة المثال الآريّ وُجدت في بلاد فارس في القرن السادس قبل المسيح . على ان العاديّات المصرية أوضحها دلالةً وأحسنها بيانًا وأكثرها قدمًا فترى فيها صور المصريين القدماء ولا سيما الملوك والملكات ومخالفيهم وأعداءهم واسراهم وخدامهم وارقّائهم والكهنة واصحاب المناصب بازيائهم وهيئاتهم وجميع ما يُفرَقون بهِ ويمتازون بحسبهِ . وقد كثر التفنن في اتقان التصوير في الدولة السابعة عشرة[1] وفي الدولة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة فترى صور الفراعنة متدرجة بالترتيب من المصري الصرف الى المصري الممتزج بالسامي واليوناني والنوبي حتى اليهودي . واكثر ما ترى هذه الامتزاجات في الدولة التاسعة عشرة التي ابتدأت برعمسيس الاول سنة ١٥٩٦ ق م وما دونها الى الدولة الثانية والعشرين والثالثة والعشرين والرابعة والعشرين حين كثر الامتزاج فلم يبقَ سبيلٌ الى تمييز المثال الواحد عن الآخر . ومما يجدر ذكرهُ هنا ان الدولة المسماة بالاثيوبية وهي الخامسة والعشرون يؤخذ من صورها أن لا شيء

---

١ وهي دولة الرعاة الذين سموهم هكسوس وكانوا من العرب غالباً اجتاحوا مصر سنة ٢٣٠١ ق م

فيها من الدم الزنجي فالانف أذلف لا فَطَس فيهِ والشفتان غير هدلاوين والشخوص الوجهي غير مائل الى الامام . وعلى الجملة فان صور الدولة الاثيوبية تشابه صور غيرها مما يدل على وحدة الاصل المصري . والحاصل ان التزاوج بين ملوك مصر وبنات الملوك الاجانب على ما أثبت التاريخ كان علة اختلاط الاصول البشرية في مصر . على ان امتزاج الدم المصري بالدم الشرقي ابتدأ منذ الدولة الرابعة التي ملكت على ما ذهب اليهِ لبسيوس سنة ٣٤٠٠ ق م وذلك قبل زمن ابرهيم الخليل

وما زالت الاختلاط تزداد بتداول الدول والفواعل الطبيعية تعارضها محافظةً على أصول النشأة المصرية فقد تغلب على مصر اليونان وحكموها منذ سنة ٣٢٣ الى سنة ٤٨ ق م ثم استولى عليها الرومان وفي أيامهم انتشرت النصرانية وكثرت المشاحّات على العقائد والبدع وثقل نير الرومان على مصر حتى دحرهم عنها العرب بقيادة عمرو بن العاص فصارت عربية ثم تغلب عليها الاكراد والشراكسة ومع كل ذلك لم يزل المصريون ممتازين بالخصائص الاصلية التي فُطروا عليها

فالمصريون الآن أخلاط من المصريين الخُلَّص والبرابرة والبدو والترك واليهود والمشارقة ومنهم السوريون والفرنجة على اختلاف أممهم وأجيالهم وأخصهم المصريون الخُلَّص وهم القبط والفلاحون

فالقبط هم بقية الامة المصرية التي حافظت على منزعها الديني المسيحي وخطت عقائدها بالقلم القبطي صوناً لها من الابتذال وكانت في مصر على حكم الذميين بحسب الشريعة الاسلامية التي هي شريعة البلاد « يؤدّون الجزية عن يدٍ وهم صاغرون » وكان عدد الذين دفعوا الجزية الى عمرو بن العاص اكثر

من ٦,٠٠٠,٠٠٠ على ما رفع عرفاؤهم بالأيمان المؤكدة ما عدا الشيخ الفاني والصغير الذي لم يبلغ الحلم والنساء وما عدا أهل الاسكندرية . وقد فُرضت الجزية على جميع من بمصر من القبط دينارين دينارين فبلغت اثني عشر الف الف دينار . أما الاسكندرية فكان فيها من الروم حينئذٍ ٢٠٠,٠٠٠ ومن اليهود ٧٠,٠٠٠ فاذا فُرض ان الذين دفعوا الجزية انما كانوا ثلث جميع سكان مصر فقول بعضهم انهم بلغوا في زمن الفتح عشرين مليوناً غير بعيد من الصحة خلافاً لما زعم مؤرخو الافرنج من ان هذا العدد انما كان من مبالغات مؤرخي العرب . والقبط في أيامنا لا يتجاوز عددهم ١٥٠,٠٠٠ نفس وانما قلَّ عددهم لكثرة الذين دخلوا منهم في الدين الاسلامي في القرون الماضية اذ كانوا في كل عصر عرضةً للاضطهاد والمظالم ولم يُرفَع عنهم نير العبودية الثقيل الا في ظل عدالة الأُسرة المحمدية العلوية . وكان الحكام من قبل يستخدمونهم في الحسابات وجباية الخراج ولم يزل الاذكياء منهم قائمين بمناصب عالية في مصالح الحكومة المختلفة على مقت العامة لهم ووصفهم بالكيد والمكر وانما شأنهم في ذلك شأن الاذلاء الذين غُلبوا على أمرهم وهُضِموا في ضياعهم فنشأوا على الضعف والجبن وسرعة الخوف والحسد والنميمة الى غير ذلك مما ذكره المقريزي وغيره قال « وليست هذه الشرور عامة فيهم ولكنها موجودة في اكثرهم ومنهم من خصَّهُ الله بالفضل وحسن الخلق وبرّأهُ من الشرور »

اما المشابهة بين القبط والمصريين القدماء في هيئاتهم واشكالهم فقد اكثر من البحث فيها علماء العصر وغاية ما توصلوا اليه على ما ثبت بعد التحقيق ان هذه المشابهة تدل على وحدة الاصل المصري فملامح القبط كملامح التماثيل المصرية القديمة تعرف بطلاقة الوجه وعليها لمحة من الجمال واللطف وعيونهم نجل

سود الحدق مطرقة قليلاً منحرفة الوضع وآذانهم ثخينة وانوفهم قصيرة فيها فطس قليل وشفاههم هُدل واسعة الاشداق ووجناتهم شاخصة وجباههم مائلة الى الوراء والفك السفلي عريض مسطح وشعرهم اسود جعد واطرافهم نحيفة واصابع ارجلهم مستطيلة مسطحة اما لونهم فاقهب ومنهم بيض اشبه بالاوربيين على ما ذكر بلزوني وهم قليلون على ان اهل الصعيد منهم وهم اكثرهم يقربون من الزنج لانهم يتزوجون بالزنجيات

ستأتي البقية

اشعة رنتجن

لم يبقَ من لم يطرق سمعهُ امرُ هذه الاشعة وما كان عنها من الاستنباط العجيب باختراع الطريقة التي ترتسم بها الاجسام المحجوبة بحيث تبدو من وراء الحُجُب بمثالها الطبيعي . ونحن ذاكرون هنا خلاصة التوجيهات العلمية التي بُني عليها هذا الاستنباط وكيفية العمل بهِ ولخص تقارير بعض المشاهير عما تُوُصِّل بهِ الى اكتشافهِ من العلل الخفية في الطب والجراحة بيانًا لمنزلة هذا الاستنباط في عالمي العلم والعمل وما يؤمل ان يحصل عنهُ من المنافع . وأولاً نبدأ بتعريف الاشعة المذكورة التي هي جوهر هذا الاكتشاف تسهيلاً لادراك ما ترتب عليها من الاعمال العظيمة لا نقتصر في ذلك على مجرد الاخبار عن الحوادث كما يفعل الرواة ولكننا سنورد بيان الحقائق العلمية ليكون المطالعون على بينةٍ منها

لا يخفى أن الانسان يتوصل الى ادراك الصور الخارجية من المحسوسات الكونية بالحواس الخمس والبصر أدقها حسًّا واعظمها تأثرًا لان ادراك تموجات